وقد كانت تلك الكتب مرجعاً للفقهاء إلى أن دُوّنت في القرن الحادي عشر ثلاثة كتب مطولات: وهي «وسائل الشيعة في أحكام الشريعة» لمحمد بن الحسن الحُر العاملي (1032 ـ 1104) وعليه المعوّل في الفقه منذ تأليفه و«الوافي» لمحمد محسن الفيض الكاشاني (م1091) و«بحار الأنوار» لمحمد باقر المجلسي (1027 ـ 1111) فضُمّت هذه الموسوعات الثلاث إلى تلك الكتب الأربعة، مع تفاوت بينها كما بين تلك الأربعة، فإن الكافي من بين الأربعة اختص بجميع الروايات في حقل العقيدة والشريعة، فيُعتبر جامعاً كصحيح البخاري ومسلم والترمذي عند الجمهور، والثلاثة الباقية خاصة بالسنن والأحكام. ومن بين الثلاث المتأخرة كتاب «الوسائل» أيضا خاص بالسنن والأحكام، و«الوافي» جامع لأحاديث الكتب الأربعة فقط، فهو باعتبار اشتماله لروايات «الكافي» يُعدّ جامعاً، و«البحار» جمع روايات غير الكتب الأربعة في جميع الأصعدة من الأحكام والعقائد والتاريخ والمغازي والأخلاق والآداب وغيرها، فهو يُعدّ جامعاً ايضاً، إلاّ أن اصطلاح «الجامع» و«السنن» الشايع عند أهل السنّة ليس متداولاً بين الإمامية. وباعتبار أن المشايخ أرباب الكتب الأربعة كان أسماءهم «محمداً» وكذلك أسامي مؤلفي المجاميع الثلاث الأخيرة فاشتهروا بـ«المحمدون الثلاثة الأُوَل» و«المحمدون الثلاث الأُخَر». وقد ضُمّت إليها في القرن الرابع عشر الهجري موسوعة باسم «مستدرك الوسائل» للشيخ ميرزا حسين النوري (م1320 هـ) استدرك فيه مافات صاحب «الوسائل»، أو مالم يرد ذكره عمداً من الأخبار، وموسوعة أخرى باسم «جامع الأحاديث الفقهية» ألفت بإشراف أستاذنا الإمام البروجردي رضوان ا عليه وبمباشرة جماعة ممن تتلمذ عليه ـ وكنت أنا من جملتهم ـ وقد جُمع فيها كل ما في